Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستبدل موقفاً بموقف مناقض للماضي بدافع من الرغبة في البقاء والحفاظ على الحياة أو الخلاص من حياة الأسر المذلة، فنقض كل قصيدة هجاء سبقت، بقصيدة مدح واعتذار منها:

إنّي لأرجو منك يا أوسُ نعمةً ... وإنّي لأُخرى منك يا أوسُ راهبُ
وإني لأمْحُو بالذي أنا صادقٌ ... به كلَّ ما قد قلتُ إذ أنا كاذبُ
فهل نافعي في اليوم عندك أنّني ... سأشكر إن أنعمتَ والشّكرُ واجبُ[1]

...

وبما أن الشاعر قد رضي أن يكذّب نفسه على الملأ، وأن يعيد إلى خصمه ما سلبه من المكارم، لم يبق مبرر للأسر، فأطلقه أوس ومنّ عليه.

من الشواهد التي قدّمْناها، نلاحظ أن الاعتذار يتضمن مدحاً للسلطان، وهذا المدح تتفاوت قيمته بين الشعراء، فمنهم من يبدو عليه الانهيار والتذلل، ومنهم من يمدح ويلتمس المعذرة في أنفة وإباء، وآخرون يسلكون سبيلاً وسطاً، ويبدو أن هذا النحو انتحاه عدي بن زيد مع النعمان، انه يحاول النجاة من سجنه، فكان على جانب من التماسك والتعزز النفسي، واستطاع أن يوفق في شعره بين تعنّت الملك والسعي لارضائه وبين صون نفسه من التذلل والتعفر.

فنراه تارة يعتبر نفسه عبداً، وطوراً يتعالى ليصبح الحبيب، والأحبة عادة أقران، غالباً ما يكونون من نفس المستوى الاجتماعي. ثم يحاول تنبيه الملك من أن موته لن يكون خسارة مقصورة على نفسه وإنما خسارة للملك أيضاً سيشعر بها عندما تقع الحروب بينه وبين أعدائه. وهنا نلاحظ أن عدياً يمدح نفسه، ويكشف عن مأثرة من مآثره عسى أن تكون من العوامل التي تساعد على إطلاق سراحه.

ونحن نقرأ شعر طرفة نحس أنه يسعى للبقاء على حياته، ومع هذا المسعى تفوح رائحة النقمة والحقد على الملك، فهو يتهمه بالخداع والغدر وبالتعطش لسفك الدماء، ويقسم على براءته من هجائه ويعرب عن خشيته من انتقامه، ويحذره من مغبة الاقدام على ذلك.

---

(1) محمد أحمد جاد المولى بك ـ **أيام العرب في الجاهلية** ص 138.